**الجامعة : المستنصرية**

**الكلية : الاداب**

**القسم : الانثروبولوجيا والاجتماع**

**اسم التدريسي : هدى كريم مطلك**

**المادة : اسس المدخل الى الانثروبولوجيا العامة**

**المحاضرة السادسة والعشرون**

**م / مدرسة القانون المقارن والمدرسة التطورية**

1. **مدرسة القانون المقارن Comparative Law**

ابرز رجال هذه المدرسة الفقيه السويسري (باخوفن) و المحامي الاسكتلندي (ماكلينان) و الفقيه الاسكتلندي (السر هنري مين) . ولقد أفاد هؤلاء الفقهاء علم الانثروبولوجيا كثيرا حين انصرفوا لدراسة القانون المقارن و اهتموا بصورة خاصة بالقانون القديم و بقوانين الشعوب البدائية . فلقد لفت (باخوفن) مثلا الاهتمام لأول مرة في كتابه (حق الام) الى الانتساب الى الام , و رسم خطوات معينة لتطور المجتمعات القديمة . فقال ان اقدمها عاشت في حالة جنسي , ثم تطور ذلك الوضع الى الانتساب الى الام , ثم أدى هذا الى قيام عائلات تترك السلطة فيها بيد المرأة , ثم تطورت هذه الى الانتساب الى الاب , وبعد زمن استلم الرجل السلطة من المرأة .

اما (ماكلينان) فقد رسم تاريخا لتطور المجتمع البشري القديم , فهو يقول : لابد لنا ان نفترض ان الانسان الأول كان يعيش حياة اباحية , أو حياة خلط جنسي . و أن الشواهد تدل أيضا على انه كان يعيش في أول الامر في كل مجتمعاته في جماعات طوطمية صغيرة تقوم على أساس القرابة و تنتشر بينها عادة الاخذ بالثأر . كما أن تلك الجماعات كانت تزاول الزواج الخارجي , وهو النظام الذي يفرض فيه المجتمع على الرجل أن يتزوج من خارج مجموعته القرابية . وهذا الطراز من الزواج نشأ كضرورة حتمية نتيجة لممارسة المجتمع عادة و أن الأطفال الاناث , وهو بدوره نظام تبنته المجتمعات القديمة نتيجة لانتشار الحروب و الاخذ بالثأر. فاصبح الأسلوب الطبيعي للحصول على الزوجة هو الاسر ما دام الرجل لا يستطيع أن يتزوج من مجتمعه أولا , و لا من بين اعدائه المحيطين به بطريقة ودية أو عن طريق الخطبة و المفاوضة . ثم تطورت تلم المجتمعات الأولى الى مرحلة تعدد الأزواج . وكان الانتساب في تلك الفترة الى الام , فتطور الانتساب الى الاب . ثم بدأ نظام العائلة المعروفة بيننا الآن بالظهور تدريجيا بعد أن سبقته في الظهور مجموعات اجتماعية اكير هي أولا القبيلة , ثم العشيرة , فالفخذ, فالعائلة المشتركة .

اما (السر هنري مين) فقد ذهب الى أن العائلة الابوية الكبيرة القائمة على سلطة الاب هي الشكل الأصلي العام للحياة الاجتماعية , و أن السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها رئيس العائلة كانت السبب في ظهور مبدأ الانتساب الى الأجداد في خط الذكور دون خط الاناث في مرحلة معينة من تطور تلك الحياة .

1. **المدرسة التطورية Evolutionary School :**

ظهرت هذه المدرسة في القرن التاسع عشر , وكان أبرز رجالها (لوس مورگن) و (پت - رڤرز) و (السرجون لبك) و (السر ادوارد تايلور) . ولقد تأثر التطوريون بنظريات (دارون) و (لامارك) في التطور الحياتي الطبيعي , فاقاموا نظرياتهم في التطور الاجتماعي على عين الأسس . فقالوا (ان العناصر المركبة في الحضارة تتطور من البسيطة الى المعقدة , و من المتسقة الى المتنافرة) . ولقد أوغل بعضهم , مثل (پت – رڤرز) في الحماس للتطور فترسم خطى (دارون) بتعقبه العناصر الحضارية المادية كالادوات الحجرية و الأسلحة من مراحل بدائية الى معقدة , معينا مراحل و أدوارا كثيرة . و هكذا آمن التطوريون بتطور النظم الاجتماعية و ركزوا كل جهودهم على دراسة ذلك التطور . و لان تأريخ حضارات البشر بصورة عامة , و تأريخ النظم الاجتماعية بصورة خاصة , مجهول في الفترات القديمة , فقد لجأ رجال هذه المدرسة الى التاريخ التخميني فأقاموا على أسس أسموها (المبادئ المعروفة عن طبيعة الانسان) . و كانت الصعوبة التي واجهها رجال هذه المدرسة هي هناك أمكانية رسم اكثر من تأريخ تخميني واحد لاي نظام اجتماعي أو أي اصل حضاري . و ركز أولئك العلماء على موضوعين بالذات هما العائلة و الدين . و كانوا جميعا يؤمنون بـ (التطور الاجتماعي) و بـ (التقدم) و بأن المجتمعات (انساق طبيعية) .

وكما اعتمد علماء الحياة في نظرياتهم في التطور على ما توصل اليه علم المتحجرات النباتية و الحيوانية , فان التطوريين من علماء الانثروبولوجيا لجأوا الى علم الآثار ينشدون فيه العون لتفسير نظرياتهم و تأييد فرضياتهم . فلقد أثبت علم الاثار التطور بشكل قاطع باستعماله علم طبقات الأرض الجيولوجية استعمالا دقيقا . فتهافت الانثروبولوجيون التطوريون على تلك المعلومات التي توصل اليها علم الاثار و صاروا يقارنون الشعوب البدائية المعاصرة و ادواتها و انتاجها بتلك الشعوب القديمة و ما تركت من آثار . ولكنهم لم يجدوا في علم الاثار عونا كبيرا , لان هذا العلم لا يستطيع أن يلقي ضوءا واضحا على النظم الاجتماعية و على المعتقدات , و لايستطيع أن يجلى الجانب الروحي من الحضارة بصورة عامة , رغم قدرته على تقديم خطوط عامة عن الوضع الاجتماعي و الاقتصادي لحياة الانسان التي سبقت الفترة التأريخية .

وكما قال (دارون) بالاعضاء البدائية غير المتطورة كالزائدة الدودية , والتي ما زالت موجودة في الجسم البشري و الحيواني حتى الآن رغم زوال وظائفها , فان التطوريين ابتكروا تعبيرا مقايلا اسموه (البقايا) أو (الرموز) اطلقوه على عادات بطل اثرها في المجتمعات البدائية المعاصرة و لكنها ما زالت باقية حتى اليوم , فقالوا انها (بقايا) او (رموز) على وجودها و انتشارها في وقت من الأوقات , و استعانوا بها على تفسير بعض غوامض فرضياتهم و سنن تطورهم . و من اشهر أمثلتهم على (البقايا) و (الرموز) تمتع الخال بسلطة أو مركز في المجتمع الذي يكون الانتساب فيه الى الاب , حيث يكون الوضع الطبيعي عكس ذلك . فيفسرون هذه الظاهرة بانها (بقية) او (رمز) على تطور ذلك المجتمع من نظام الانتساب الى الام حيث تكون للخال سلطة كبيرة و يتمتع بمركز عال الى نظام الانتساب الى الاب مع بقاء الخال محتفظا , رغم ذلك التطور , بشيء من السلطة و ببقية من المركز .

كما فسروا وجود نظام النعوت التصنيفية في القرابة , وهو النظام الذي يطلق فيه المتكلم في بعض الشعوب نعت الاب على كل رجل من سن أبيه , أو نعت الام على كل امرأة من سن امه , وكذا نعت الأخ و الأخت و الابن و الابنة و الجد و الجدة , بأنه (بقية) أو (رمز) لمرور ذلك المجتمع في مرحلة الخلط الجنسي حيث كان كل رجل فيه زوجا لكل امرأة . وهناك أمثلة كثيرة أخرى .

وكتب رجال هذه المدرسة المجلدات الضخمة و خاضوا في مناقشات حادة حول موضوعات اغلبها تدور حول النسب و العائلة و الدين و تطورها . هل سبقت العائلة الفخذ كوحدة أساسية في التنظيم الاجتماعي ام العكس ؟ أو هل سبق نظام الانتساب الى الاب نظام الانتساب الى الام أو كان الامر عكس ذلك ؟ و هل عرف الانسان عبادة الاسلاف أولا أم عبادة الطبيعة ؟ فلقد رسم أحدهم وهو (مورگن) , مثلا , خطة تطورية للزواج و العائلة تحتوي خمس عشرة مرحلة و تشبه لحد كبير خطة (ماكلينان) .

ويعتبر رجال المدرسة التطورية الاشكال المختلفة من الحضارات البدائية المعاصرة شواهد أو دلائل على مراحل التطور الاجتماعي التي مرت بها حضاراتنا المتقدمة حتى وصلت الى أعلى مراحل التقدم الحضاري ممثلة في المدينة الاوربية المعاصرة .

وحين يرى رجال هذه المدرسة تشابها بين عناصر حضارية معينة في حضارات قائمة في أجزاء مختلفة و متباعدة من العالم فانهم يفسرون ذلك التشابه بالمذهب المسمى (التطور المتوازي) . فهم يرون أن الانسان ذو عقل واحد و ونفسية واحدة , أو هو يملك ما اطلق عليه (الوحدة النفسية) Psychic Unity . كما ان حاجاته الحياتية واحدة . فاذا ما واجه هذا الانسان ظروفا متشابهة فانه قد يصل بصورة منفصلة و بدون ان يتصل بعضه بالبعض الاخر و يقتبس منه الى اختراعات متشابهة . و يدللون على نظريتهم بوجود اختراعات أو عناصر حضارية متشابهة بل و متطابقة نشأت في بيئات متباعدة تفصل بينها حواجز و عوارض طبيعية يستحيل معها حدوث أي اتصال او اقتباس حضاري . ولكن هذه النظرية تلقى معارضة شديدة من رجال المدرسة الرابعة , المدرسة الانتشارية , و من مدارس أخرى . و يتفق معارضو هذا الرأي مع دعاته في نشوء العناصر المادية للحضارة و بخاصة ما كان منها بسيطا , كعصا الحفر , أو الزورق المحفور من جذوع الأشجار , و لكنهم لا يقبلون نفس النظرية فيما يخص النظم الاجتماعية , و بخاصة ما كان منها معقدا . واحد الأمثلة التي تضرب في هذا المجال هو (الكوڤيد) . وهو نظام اجتماعي يتحتم بموجبه على الزواج الذي تلد زوجته طفلا أن يرقد في فراشه و يتقبل تهاني الأصدقاء مشاركا زوجته حالة النفاس بل و متظاهرا بانه هو قد وضع طفلا أيضا . وهذا النظام موجود بين احدى قبائل الهنود في أمريكا الجنوبية (البورو) القاطنين في غابات الامازون , كما انه ظل موجودا حتى وقت قريب بين (الباسك) القاطنين في (الپرينز) التي تفصل بين فرنسا و اسبانيا . وواضح , كما يدعي التطوريين أن لا مجال للظن بوجود الاتصال و الاقتباس الحضاري بين هذين الشعبين وعليه فيجب أن يفسر وجود هذا النظام في المنطقتين المذكورتين , الا يفصل بينهما محيط شاسع , بـ (التطور المتوازي) . و لكن هذا المثل بالذات يعتبر من أمضى الأسلحة التي يهاجم بها أعداء المدرسة التطورية نظرية (التطور المتوازي) على أساس أن هذا نظام اجتماعي غريب و معقد و لا يمكن أن يتوصل اليه انسان في مكانين منفصلين بدون الاتصال و الاقتباس . ولذا طبق رجال المدرسة التطورية نظريتهم في (التطور المتوازي) على كافة المعالم الحضارية , الأدوات و الأسلحة و الأجهزة و النظم الاجتماعية , بما فيها الدين و العائلة . بل قالوا ان أي تشابه حضاري يمكن ان يفسر وفق هذه النظرية .